بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

اللَّهُمَّ اهدِني وسدِّدْني وثبِّتْني

حربُ الثَّوابت وزعزعةُ القِيَمِ

الخُطبةُ الأُولَى:

الحمدُ للهِ الَّذي أَعَزَّ مَن شاء بدينه، وثبَّت على الحقِّ أولياءَه، فجعلهم بالحقِّ قائمين، وبالصِّدق قائلين، وعن عقيدتهم مُنافحين، وفي سبيلِ اللهِ لأرواحِهم باذلين. أَشهَدُ أَلَّا إلهَ إلَّا اللهُ وحده لا شريكَ له، أحاط بكُلِّ شيءٍ علمًا، وأَشهَدُ أنَّ نبيَّنا مُحمَّدًا عبدُه ورسولُه، أعلى النَّاسِ منزلةً، وأعظمُهم قدرًا، وأسماهم ذِكرًا؛ صلَّى اللهُ وسلَّم عليه، وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أمَّا بعدُ؛ فاتَّقوا اللهَ عبادَ اللهِ، واعلَمُوا أنَّ اللهَ قد أمركم بتقواه، وحثَّكم على الالتزامِ بها، والمُداوَمة على طاعته حتَّى تُقبلوا عليه راسخين على الإسلامِ، ثابتين عليه؛ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

أيُّها النَّاسُ: والَّذي فلق الحبَّةَ، وبرأ النَّسَمَةَ، وخلق اللَّيلَ والنَّهارَ، والشَّمسَ والقمرَ، والجبالَ والأحجارَ، والشَّجرَ والدَّوابَّ؛ لا نعمةَ أَجَلُّ على العبادِ، ولا مِنَّةَ تَستحقُّ كثرةَ الحمدِ والتَّألُّهِ والشُّكرِ للهِ الكبيرِ المُتعالِ مثلُ نعمةِ الإسلامِ والثَّباتِ عليه!

ما أَعظَمَ وأَجَلَّ أن تُوحِّدَ اللهَ، وتَثبُتَ على دينه وتقواه، وتَتقرَّبَ إليه بأنواعِ الطَّاعاتِ والقُربات! ومعَ هذا لا تعترفُ إلَّا به وحدَه، ولا تُعيدُ المِنَّةَ إلَّا له دونَ سواه، فلا تَخضَعُ إلَّا له، ولا تركعُ إلَّا له، ولا تُمرِّغُ وجهَكَ في التُّرابِ إلَّا بينَ يديه، فأَكرَمكَ اللهُ بهذه النِّعمة، وتَجمَّل عليكَ بهذه المِنَّة، حينما حَرَمَ غيرَكَ ممَّن قد يكونُ أفضلَ منكَ عقلًا، وأقوى جسدًا، وأَحسَنَ خَلْقًا، لكنْ حتَّى تعلمَ أنَّ ما أنت فيه هو بمَحْضِ منَّةِ اللهِ عليكَ، وكريمِ إحسانه إليكَ؛ فلهُ الحمدُ والمِنَّةُ والشُّكرُ.

إذا عرفتم منَّةَ اللهِ عليكم بالإسلامِ، وإحسانَه إليكم بهذا الدِّينِ؛ فلا أَعظَمَ من الثَّباتِ عليه، والتَّمسُّكِ به؛ وذلك باتِّباعِ أوامرِ اللهِ في دينه، ولزومِ طريقِ سيِّدِ المُرسَلينَ في أمرِه ونهيه.

إنَّ ما أنتم فيه من النِّعمةِ جعل كثيرًا ممَّن أَعمَى اللهُ بصائرَهم، وأصمَّ آذانَهم، وطبع على قلوبهم، فصاروا حربًا على الإسلامِ وأهله، يكيدون لكم المُؤامَرات، ويَحيكون لكم الدَّسائسَ؛ لزعزعة دينكم، وإلقاءِ الشُّبَه عليكم في ثوابتكم!

لقد عَلِم هؤلاءِ القومُ أنَّ خروجَكم من دينكم أمرٌ شبهُ مُستحيلٍ، فأَخَذُوا يمكرون بدَسِّ الدَّسائسِ، وإلقاءِ الشُّبَه عليكم؛ حتَّى يَرُدُّوكم عن دينكم، أو يُشكِّكوكم في عقيدتكم؛ فأَصبَحوا على حربكم، وأَمسَوْا على الكيدِ لكم ولدينكم!! فهم يُلقُونَ الشُّبهات، ويَشُنُّونَ الغاراتِ على الإسلامِ وأهله، ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَـئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَـئِكَ

أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة:٢١٧].

أيُّها المسلمون: الثَّباتَ الثباتَ على الدِّينِ، ولزوم أصوله وثوابته، احذَرُوا أشدَّ الحذرِ من زعزعة ثوابتكم وأصولِ دينكم، بل ثوابتُكم حَرَمٌ حرامٌ لا ينبغي أن يَتسلَّطَ عليها الشَّيطانُ، ولا المَردةُ من الكفرة وأهلِ النِّفاق من بني الإنسان.

عبادَ الله: إنَّ حربَ الثَّوابت، وزعزعةَ القيمِ هي ديدنُ أهلِ النِّفاقِ في هذا الزَّمان، لَمَّا عَجزت آلتُهم في صَدِّ النَّاسِ عن الدِّينِ؛ أَخذُوا في حربِ الثَّوابت، وزعزعةِ القيَمِ عندَ المسلمين!!

فتَجدُهم يُناقشون قضايا هي من المُسلَّمات في الدِّين، وهي أَبلَجُ من شمسٍ في رابعة النَّهار، لكنَّ قِلَّةَ دينهم وهواهم حملهم على النَّيلِ من القيَمِ، وزعزعةِ الثَّوابت؛ فمَرَّةً يُناقشون قضايا لا يَجرُؤُ على نقاشها أهلُ العلمِ الرَّاسخون فيه إلَّا وهم على وَجَلٍ تامٍّ من القولِ على الله فيها.

لقد أَصبَح التَّشكيكُ والتَّشويهُ الآنَ في كُلِّ شيءٍ: في الاستهزاءِ بالدِّين، وبأولياءِ الله الصالحين، وفي حجابِ المرأة، وفي السُّنَّة النَّبويَّة، وأَصبَح هؤلاءِ يُصحِّحون ويُضعِّفون، كأنَّهم من علماءِ الملَّة والدِّين.

أيُّها النَّاسُ: هناك ثوابتُ في الدِّين، وقضايا كُلِّيَّةٌ، لا يُمكنُ بحالٍ التَّنازلُ عنها، أو التَّساهلُ فيها: كقضايا التَّوحيد، والإيمانِ بالله، وملائكته، وكُتُبه، ورُسُله، واليومِ الآخرِ، والولاءِ والبراءِ، وتحكيمِ شرعه، ومقامِ النَّبيِّ ﷺ، ورسالته، وتبليغه لدينِ ربِّه ﷻ.

هذه ثوابتُ كُلِّيَّةٌ يجبُ على المسلمِ الحقِّ أن تكونَ عقيدتُه فيها سَليمةً، وإيمانُه فيها تامًّا مُستقيمًا، ولا يتمَّ النِّقاشُ فيها إلَّا بعلمٍ لقصدِ التَّعلُّمِ والانتفاعِ، لا لقصدِ التَّشكيكِ والابتداعِ.

لقد أَنزَلَ اللهُ ﷻ هذا الدِّينَ لِيُعمَلَ به كما هو، بدونِ تغييرٍ ولا تبديلٍ، ولا تحريفٍ ولا تأويلٍ، ولا زيادةٍ ولا نقصانٍ، يقولُ تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[المائدة:٣].

عبادَ الله: إنَّ أعظمَ ساعةٍ تُنازِعُكَ للتَّنازلِ عن الثَّوابت، وزعزعةُ القيَمِ عندَكَ: هي ساعةُ الضَّعفِ، والشُّعورِ بتكالُبِ الجميعِ عليكَ. لكن مَن ثَبَتَ بتثبيتِ الله له = كان ذلك بدايةَ النَّصرِ وإظهارِ الأمرِ.

وهنا نَقفُ وقفةَ إجلالٍ وإكبارٍ مع موقفٍ عظيمٍ تمثَّلتْ فيه معاني الثَّباتِ في الأمرِ، والعزيمةِ على الرُّشدِ لنبيِّ المَلْحَمةِ والرَّحمَّة، والحاشرِ، والعاقبِ ﷺ.

جاء في السِّيرةِ عندَ ابنِ هشامٍ: أنَّ كُفَّارَ قُرَيشٍ أخذوا يضغطون على أبي طالبٍ أن يأتيَ إلى النَّبيِّ ﷺ فيَرُدَّه عن دعوةِ الحقِّ، فأخذوا يُؤلِّبونه، ويُلبِّسون عليه، حتَّى بعث إلى رسولِ الله ﷺ أن يأتيَه، فجاء إليه رسولُ الله ﷺ، فقال: يا بنَ أخي، إنَّ قومَكَ قد جاؤوني، فقالوا لي كذا وكذا؛ فأَبْقِ عليَّ وعلى نفسكَ، ولا تُحمِّلْني ما لا أُطيقُ. فظَنَّ رسولُ الله ﷺ أنَّه قد بَدَا لعَمِّه فيه بَدَاءٌ، وأنَّه خاذلُه ومُسلِّمُه، وأنَّه ضَعُف عن نُصرته والقيامِ معَه؛ فقال له رسولُ الله ﷺ: «واللهِ يا عَمِّ؛ لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ في يَميني، والقَمَرَ في شِمَالي، على أن أَترُكَ هذا الأَمْرَ = ما تَرَكتُه، حتَّى يُظهِرَه اللهُ، أو أَهلكَ فيه»، ثُمَّ استَعبَرَ رسولُ الله ﷺ، فبَكَى، ثُمَّ قام، فلَمَّا ولَّى ناداه أبو طالبٍ، فقال: أَقبِلْ يا بنَ أخي. فلَمَّا أَقبَلَ عليه رسولُ الله ﷺ، قال: اذْهَبْ يا بنَ أخي، فَافْعَلْ ما أَحبَبتَ؛ فوالله لا أُسلِمُكَ لشيءٍ أبدًا. [ذكرها ابنُ هشامٍ في «تهذيب السِّيرة»١/٢٦٦، والبيهقيُّ في

«دلائلِ النُّبوَّة»١/٦٦].

هذا –عبادَ الله– هو الثَّباتُ على المبادئِ والقيمِ، لم تُغْرِه ﷺ الزَّخارفُ ولا التَّهديداتُ، ولا الوعدُ ولا الوعيدُ، معَ ما كان فيه وعليه ﷺ من الضَّعفِ وقلَّةِ النَّصيرِ، ورغمَ هذا كان ﷺ من الثَّابتين.

أيُّها المُوحِّدون: إنَّ الاستمساكَ بالعروةِ الوثقى من علاماتِ الإيمانِ، والاستمساكُ هو الأخذُ بالجميعِ، والثَّباتُ على الدِّينِ، وأخذُ الشَّرائعِ بعزمٍ وقُوَّةٍ ويقينٍ:﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ﴾ [البقرة:٦٣]،تَمسَّكوا بدينكم، واثبُتوا عليه، واعلَمُوا –رَحِمَنِي اللهُ وإيَّاكم– أنَّه قد ثبت الخبر عن سيد البشر ﷺ أنَّه:«كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ، فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ!! وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ» [أخرجه البخاريُّ (٣٦١٢) عن خَبَّابِ بنِ الأَرَتِّ ﷺ]؛ هكذا كان الثَّباتُ على القِيَمِ والمبادئ، ثباتٌ كالجبالِ، واعتصامٌ باللهِ المَلِكِ ذي الجلالِ.

اللَّهُمَّ فَثَبِّتْنا على دينِكَ، واعصِمْنا من الزَّللِ والفتنِ؛ يا أرحمَ الرَّاحمين.

أقولُ هذا القولَ، وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولسائرِ المسلمين من كُلِّ ذنبٍ؛ فاستغفروه يغفرْ لكم، إنَّه هو الغفورُ الرَّحيمُ.

الخُطبةُ الثَّانيةُ:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَم يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ﴾، وأُصلِّي وأُسلِّم على سيِّد ولد عدنانَ، أعظمِ المُتمسِّكين بشريعة ربِّ العالمين، صلَّى اللهُ عليه، وعلى آله، وصحبه، وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

أمَّا بعدُ؛ فيا عبادَ الله: أكثِروا من الانطراحِ بينَ يَدَيْ ربِّ العالمين، وسُؤاله بإلحاحِ الصَّادقينَ أن يَمُنَّ عليكم بالثَّبات على الدِّين، وتصريف قلوبكم لطاعة ربِّكم الرَّحيم، وأن يختمَ لكم بالشَّهادة، وأن يقبلَكم عندَه من المسلمين؛ فقد كان ﷺ يُكثرُ من قول: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»، فقالت له أُمُّ سَلَمَةَ رضي اللهُ عنها: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لأَكْثَرِ دُعَائِكَ: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ؟» قَالَ: «يَا أُمَّ سَلَمَةَ، إِنَّهُ لَيْسَ آدَمِيٌّ إِلَّا وَقَلْبُهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ؛ فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ، وَمَنْ شَاءَ أَزَاغَ» [أخرجه أحمدُ ٦/٣١٥، والتِّرمذيُّ (٣٥٢٢)، وصحَّحه الألبانيُّ في «ظلال الجنَّة» (٢٣٢)].

اللَّهُمَّ اختمْ بالصَّالحات أعمالَنا، وبالسَّعادة آجالَنا، اللَّهُمَّ يا مُقلِّبَ القلوب ثَبِّتْ قُلُوبَنا على دِينِكَ، يا مُقلِّبَ القلوب ثَبِّتْ قُلُوبَنا على دِينِكَ، يا مُقلِّبَ القلوب ثَبِّتْ قُلُوبَنا على دِينِكَ.

اللَّهُمَّ احفَظْنا بالإسلامِ قائمين وقاعدين وراقدين، ولا تُشمِتْ بنا الأعداءَ ولا الحاقدين.

اللَّهُمَّ حبِّبْ إلينا الإيمانَ، وزيِّنْه في قلوبنا، وكَرِّهْ إلينا الكُفرَ والفسوقَ والعصيانَ، واجعَلْنا من الرَّاشدين.

اللَّهُمَّ إنَّا نعوذُ بكَ من جَهْدِ البلاءِ، ومن دَرَكِ الشَّقاءِ، ومن سُوءِ القضاءِ، ومن شماتةِ الأعداءِ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإسلامَ وانصُرِ المسلمين، وأَذِلَّ الشِّركَ والمشركين، ودمِّرْ أعداءَكَ أعداءَ الدِّين، واجعَلْ هذا البلدَ آمنًا مُطمئنًّا وسائرَ بلادِ المسلمين.

اللَّهُمَّ انصُرْ إخوانَنا المُجاهدينَ في كُلِّ مكانٍ، اللَّهُمَّ ثبِّتْ أقدامَهم، ووحِّدْ صفوفَهم، وسدِّدْ رميَهم، واحفَظْ قادتَهم، وكُنْ لهم مُؤيِّدًا ونَصيرًا، ومُعينًا وظَهيرًا.

اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّمْ على نبيِّنا مُحمَّد، وعلى آله الأطهارِ، وصحابته الأخيارِ، المهاجرين منهم والأنصارِ، وارضَ اللَّهُمَّ عن الخلفاءِ الرَّاشدين والأئمَّةِ المَهْدِيِّين: أبي بكرٍ، وعمرَ، وعثمانَ، وعليٍّ، وعن سائرِ العشرةِ المُبشَّرينَ بالجنَّة، والصَّحابةِ أجمعينَ.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۞ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ۞ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الصَّافَّات: ١٨٠-١٨٢].

أَعَدَّها

الفقيرُ إلى عفوِ سيِّده ومَوْلاه

د. ظَافِرُ بْنُ حَسَنٍ آلُ جَبْعَانَ

www.aljebaan.com

الجمعة ١٣/٢/١٤٤٤هـ